

إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام / العدد (٤٨)

مجتمعنا بين الكبر والنفاق

بقلم

الشهيد السعيد

أنمار حمزة المهدي

الطبعة الثانية

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

لمعرفة المزيد حول دعوة السيد أحمد الحسن عليه السلام

يمكنكم الدخول إلى الموقع التالي:

www.almahdyoon.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى سيدتي التي هام قلبي فيها . .

إلى سيدتي التي ما نزلت بإذن الله تلهمني معانيها . .

إلى الكريمة أم أبيها . .

إلى الحبيبة . .

إلى الطيبة . .

إلى الأم الحنونة سيدة نساء العالمين . . نزهراء آل محمد (عليها السلام)

أهدي ثواب هذه الكلمات سائلاً الله عز وجل كمال عفوه وقبوله ومرضاه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي يجيبي حين أناديه، ويستر علي كل عورة وأنا أعصيه، ويعظم النعمة علي فلا أجازيه، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، سبحان الله إن كان وعد ربي لمفعولاً، ولن يخلف الله وعده وسيجزى الله الشاكرين، وسيجزى الله المتواضعين وسيجزى الله المخلصين. وصلي يا رب على محمد وآله الميامين وسلم تسليماً.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٢﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٣﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿٢﴾﴾.

إن من الأمراض الخطيرة التي تصيب النفس البشرية فتؤدي بها إلى مهاوي الرذيلة والضلال والحياد عن طريق السداد في الحياة الدنيا، ومن ثم إلى مشوى جهنم وبئس المهاد في الدار الآخرة، هما مرضا (الكبر والنفاق)، وهما خصلتان مذمومتان تعتريان ابن آدم باختياره فيتوقع بهما ويحجب نفسه عن خدمة نفسه بضمان السعادة الأبدية لها سعادة الدارين. فأما سعادة الدنيا فأشراق الأنوار وتسديد الجبار ونصرة الأطهار، وأما سعادة الآخرة .. فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فيا أيها المسكين، لا تبخل على نفسك وتظلمها، فإن أشد الظلم ظلم الإنسان لنفسه، وليت شعري كيف لا يكون ظالماً لنفسه من تجلبب برداء الكبر أو النفاق حتى أصيب قلبه وأصيبت نفسه بدائهما أو أحدهما.

١- نوح: ٥ - ٧.

٢- المنافقون: ١.

وفي هذا الكتيب بحثٌ بسيطٌ لبعض ما جاء في ذم المتكبرين والمنافقين وما جنوه وسيجنوه إلى أنفسهم عن طريق الآيات وروايات محمد وآل محمد صلوات الله عليه وعلى آله الميامين، وربط البحث بقضية الإمام المهدي (مكن الله له في الأرض)، وكذلك استعراض بسيط لبعض طرق معالجة النفس من هذين الداءين، نسأل الله أن يعصمنا منهما ومن كل مرض إنه نعم الطبيب وهو ربي نعم المولى ونعم النصير.

الكبر:

الكبر: هو حالةٌ تعزو النفس تدعو إلى مجاوزة الحد في إعظامها واحتقار الغير، وبعبارة أوضح: هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير.

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾
﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(١).

أو قل: هو عزة وتعظيم يوجب رؤية النفس فوق الغير واعتقاد المزية والرجحان عليه، فهو يستدعي متكبراً عليه وبه ينفصل عن العُجب، إذ العجب مجرد استعظام النفس دون اعتبار رؤيتها فوق الغير، فالعجب سبب الكبر والكبر من نتائجه، والكبر هو خُلُق الباطن يقتضي أعمالاً في الظاهر هي ثمراته.

(ما أضمر أحدكم شيئاً إلا وأظهره الله على صفحات وجهه وقلبات لسانه)^(٢)، وتسمى تلك الأعمال تكبراً.

علاوةً على ذلك فهو دائٍ عضال في النفوس المتدنية يجلبه ابن آدم لنفسه بسبب ضيق دائرة نظره إلى نفسه، عندما يرى فيها فضيلة ليست عند غيره (ولعله هو يحسبها فضيلة وليست في واقعها فضيلة) متناسياً النظر إلى نقائص نفسه وكمالات الغير. ولهذا الداء عوارض مرضية نفسية كثيرة وتفرعات، بحيث يوقع صاحبه في الكثير من الرذائل المستهجنة، كالاغترار بالظلم وعدم الاحتراف بحقوق الغير والحقد والحسد وعدم الانقياد للحق^(٣).

وكيف ينقاد إلى الحق وقد طُبع على قلبه بما جناه على نفسه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكِ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(٤).

١- ص: ٧٥ - ٧٦.

٢- بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ٣١٦.

٣- مستل من كتاب طب الأئمة وكتاب جامع السعادات بتصرف.

٤- غافر: ٣٥.

وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(١).

وإليك أيها القارئ العزيز - أعاذك الله وأعاذنا من هذا الداء ومن كل داء - بعض ما روي عن الرسول وآل بيته (صلوات الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين وسلم تسليماً) في ذم الكبر وما يجنيه صاحبه منه في الدنيا والآخرة.

قال رسول الله ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر)^(٢).

وقال ﷺ: (قال الله: الكبر ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني في واحد منهما ألقيه في جهنم)^(٣).

وقال ﷺ: (لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين، فيصيبه ما أصابهم من العذاب)^(٤).

أقول (وأنا أقل القائلين): إشارة رسول الله ﷺ إلى العذاب المطلقة وليست مقيدة. وهذا واضح لمن تتبع سيرة الجبابرة. (وما أصبحوا جبابرة إلا بعد أن تكبروا، فالتجبر نتيجة التكبر).

فالمتتبع لسيرتهم لا يجد أحداً منهم نجا من العذاب (الديني أو الأخروي)، ففي الدنيا هو معذب في الباطن؛ لأنه غير مطمئن، ومن أين يأتيه الاطمئنان وقد فقد مصدره ومنبعه وإن تظاهر به (أي بالاطمئنان) إلا أنه في واقعه معذب من الداخل، وكذلك لا ينجو هذا المغفل من عذاب الله وانتقامه (الديني المادي) وإن أمهله قليلاً، وبذلك يكون مخزياً وتلعنه الأجيال تلو الأجيال. وأما في الآخرة فيكفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٥).

١- الأعراف: ١٤٦.

٢- جامع السعادات: ج ١ ص ٣٠٢.

٣- جامع السعادات: ج ١ ص ٣٠٢.

٤- جامع السعادات: ج ١ ص ٣٠٢.

٥- النحل: ٢٩.

وعن أبي عبد الله عليه السلام إنه قال: **(لا يطمعن ذو كبر في الثناء الحسن)** ^(١).

وعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: **(إن في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه)** ^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **(شر آفات العقل الكبر)** ^(٣).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: **(ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا ونقص من عقله مثل ذلك، قل أو كثر)** ^(٤).

وهذا تأكيد من الإمام علي عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام على أن الكبر من أعظم الحجب التي تسدل على العقل فتؤدي إلى ظلمته، وهذا ما نلمسه يقيناً في الواقع الخارجي.

وروي عن آل محمد عليهم السلام إن عيسى بن مريم عليه السلام قال: **(كما إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا - المكان المرتفع - كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر ...)** ^(٥).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: **(إن في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له (سقر) شكا إلى الله شدة حره، وسأله أن يأذن له أن يتنفس، فتنفس فاحرق جهنم)** ^(٦).

وقال عليه السلام: **(إن المتكبرين يُجعلون في صورة الذر، يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب)** ^(٧).

وسُئل الإمام الصادق عليه السلام عن أدنى الإلحاد، فقال عليه السلام: **(إن الكبر أدناه)** ^(٨).

١- بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٣٤.

٢- الكافي: ج ٢ ص ١٢٢ ح ٢.

٣- مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٢٩.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٦.

٥- بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٣٠٧.

٦- جامع السعادات: ج ١ ص ٣٠٣.

٧- مستدرك سفينة البحار - للنمازي: ج ٩ ص ١٣.

٨- الكافي: ج ٢ ص ٣٠٩ ح ١.

وهنا إشارة واضحة من الإمام الصادق عليه السلام على أن الكبر درجة من درجات الإلحاد أعادنا الله من شر الإلحاد ودرجاته ومصاديقه.

* * *

لماذا فشل إبليس وبلعم والسامري (لعنهم الله) :

لا يخفى لمتتبع سيرة هؤلاء ما كان لهم في بادئ الأمر من حبة ورقية، فإبليس ارتقى بعبادة الله عز وجل حتى صار طاووس الملائكة، وبلعم ارتقى حتى حاز وعرف الاسم الأعظم (أو جزء منه) وكانت تكتب تحته اثنا عشر ألف محبرة، ورأى من آيات ربه الكبرى، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾^(١).

أما السامري فيكفي قوله تعالى حكاية عن السامري، قال تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾^(٢). فالذي قبض قبضة السامري، والمقصود بأثر الرسول هنا هو أثر جبرائيل عليه السلام.

سبحان الله، فقد كشفت له حجب الملكوت حتى أصبح يرى ملائكة الله المقربين ويقفني آثارهم. (فما حدا مما بدا) !!!؟

هو الداء العضال هو الذي لطالما عُصي به الرحمن .. هو التكبر على الانصياع والخضوع لأمر الله في أوليائه، فأما إبليس (لعنه الله) فأبى أن يسجد لآدم عليه السلام.

وأما بلعم (لعنه الله) فحسد موسى عليه السلام، ومن أين أتى الحسد إلا من الكبر، فلأنه رأى نفسه خيراً من موسى عليه السلام خالف موسى عليه السلام (كما أن الحسد يتفرع من النفاق أيضاً وستأتي الإشارة إلى ذلك في موضوع النفاق).

١- الأعراف: ١٧٥.

٢- طه: ٩٦.

وأما السامري (لعنه الله) فلأنه حسد هارون؛ لأنه رأى نفسه أيضاً خيراً من هارون وأحق باستخلاف بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام (عندما ذهب إلى ميقات ربه)، فصنع لهم العجل وقذف فيه أثر جبريل عليه السلام فأصبح له حوار فقال لهم هذا ربكم قد تجلى، فأضلهم عن علم.

أقول: إن الله حكيم وهو رب الحكمة، فلماذا يقص لنا قصص هؤلاء، فهم من زمن قد ولى ومضى، أيريد الله أن يعلمنا معلومات تاريخية لتتكلم بها، ولنتترف أفكارنا أم لنعتر بها، ولأن الله سبحانه يعلم أن في كل جيل: إبليس، وبلعم، والسامري. فتأمل.

* * *

النفاق:

النفاق: مرضٌ من الأمراض الباطنية الخطيرة مفاده إظهار شيء للمقابل مخالف لما تحتويه السريرة من شكٍ أو شركٍ أو حسدٍ أو حقدٍ أو كيدٍ.. الخ، ولهذا الداء آثار سلبية تردي بالنفس إلى أبعد دركات الظلمة في جميع العوالم، أما في الآخرة فيكفي ما روي عنهم عليهم السلام (ما معناه): (إن لجهنم سبع دركات، والمنافقين في الدركة السابعة).

ولولا أنهم كانوا في هذه الدنيا في الدرك الأسفل من الظلمات لما أمسوا في آخرتهم في الدرك الأسفل من النار.

والمراجع للقرآن الكريم يلاحظ ما وصف به الله سبحانه حال المنافقين من الانحطاط والخزي والعار والشنار في دنياهم والعذاب المهين في أخرهم، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

فظاهر الآية واضح لكل متأمل، فبعضهم أولياء بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف؛ لأنهم منكوسوا الفطرة، لا بأصل الخلقة وإنما بما جنوه على أنفسهم وبما نسوا الله فالنتيجة أن نساهم الله، ومن نساه الله أوكله إلى نفسه، ومن وكل إلى نفسه طرفة عين فقد هوى وأضل

وغوى، ولذلك في الدعاء عن آل محمد عليهم السلام: **(اللهم لا تكني إلى نفسي فأعجز عنها، ولا تكني إلى المخلوقين فيضيعوني)** ^(١).

إنّ المنافقين هم الفاسقون، أي نعم هذا تأكيد من الكمال المطلق بأن صفتهم العامة والواقعية هي الفسق الباطني الذي يُحاول المنافقون إخفاءه.

قال تعالى: **﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** ^(٢).

فهؤلاء المرضى اتخذوا أيمانهم جنة أي وقاية لهم يتظاهرون بالإيمان لما يجلب لهم الإيمان من احترام وتقدير، أو مكانة اجتماعية، أو حبة عند فلان من الناس، فإن بان الخلاف أي عدم حصول المبتغى تكشفت السرائر عما تحويه من الدعائر، فصدوا عن سبيل الله وكيف لا يصدون عن سبيل الله والناس تحسبهم أتقياء أمناء فيأخذون بكلامهم ويقتدون بأفعالهم فلا يزيدونهم إلا قربة من الشيطان وبعداً عن الرحمن، وإذا ظهر من يدعو إلى الرحمن كذبوه بسفستهم وكلماتهم التي يحسبها الجاهل ماء وهي سراب.

قال تعالى: **﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَاتْلُوهُمْ اللَّهُ أَنْتَى يُؤْفَكُونَ﴾** ^(٣).

وإليك أيها القارئ - أعاذك الله من كل نفاق - بعض ما روي بخصوص هذا الداء.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **(من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة)** ^(٤).

وقال صلى الله عليه وآله: **(يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالماً لسانه في قفاه وآخر من قدامه يلتهبان ناراً حتى يلتهبان خده، ...)** ^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في أحد خطبه: **(... أوصيكم عباد الله، وأحذركم أهل النفاق فإنهم الضالون المضلون، والزالون المزلون، يتلونون ألواناً، ويفتنون افتناناً، ويعمدونكم بكل**

١- الصحيفة السجادية: ص ١٤٥، دعاء رقم (٧٥) ..

٢- المنافقون: ٢.

٣- المنافقون: ٤.

٤- وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٢ ص ٢٥٩.

٥- وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٢ ص ٢٥٨.

عماد، ويرصدونكم (يسدونكم) بكل مرصاد، قلوبهم دويّةٌ وصفاحهم نقيّةٌ، يمشون الخفاء ويدبون الضراء. وصفهم دواء وقلولهم شقاء، وفعلهم الداء العياء، حسدة الرخاء، ومؤكّدوا (مولدوا) البلاء، ومقنطوا الرجاء... (١).

وعن علي بن أسباط، عن عبد الرحمن بن حماد رفعه قال: قال الله تبارك وتعالى لعيسى عليه السلام: (يا عيسى، ليكن لسانك في السر والعلانية لساناً واحداً، وكذلك قلبك، إني أحذرك نفسك، وكفى بي خبيراً، لا يصلح لسانان في فم واحد، ولا سيفان في غمد واحد، ولا قلبان في صدر واحد، وكذلك الأذهان) (٢).

وقال الإمام علي عليه السلام: (نفاق المرء من ذلّ يجده في نفسه) (٣).

وهذا يدل على أن النفاق بصورة عامة دليل على الضعف والحقارة والذلة الموجودة في باطن الشخص، قال الباقر عليه السلام: (بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أعطي حسده، وإن أبتلي خذله) (٤).

وهنا إشارة واضحة من إمام معصوم باقرٍ لعلوم الأكوان أنه يتفرع من النفاق الحسد والخذلان.

* * *

المنافق أخطر أم الكافر:

بلا شك أن المنافق أكثر خطراً من الكافر، وذلك لأن الكافر واضح بيّن الكفر معروف العداء، أما المنافق فهو مستبطنٌ للعداء (والعداء على مراتب أكيداً وكُلاً بحسبه).

قال رسول الله ﷺ: (إني لا أتخوف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً، أما المؤمن فيحجره إيمانه، وأما المشرك فيقمعه كفره، ولكن أتخوف عليكم منافقاً عالم اللسان ..) (٥).

١- بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ١٧٧.
٢- وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٢ ص ٢٥٨.
٣- ميزان الحكمة - للريشهري: ج ٤ ص ٣٣٨.
٤- الكافي: ج ٢ ص ٤٣ ح ٢.
٥- ميزان الحكمة - للريشهري: ج ٤ ص ٣٤١.

فالمناقق ظاهرةٌ بديع، وباطنه شنيع. يخدع الآخرين بحسن كلامه ومظهره.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾^(٢).

ولكن ليعلم هؤلاء المرضى بأنهم إن استطاعوا خداع الناس فإنهم لا ولن يستطيعوا خداع أولياء الله وأصحاب البصيرة الذين يرون بنور الله ويرون الناس على حقائقهم الملكوتية، وليعلم هؤلاء بأنه مهما أخفوا في بواطنهم من سوء فإن الله مبدية.

قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾^(٣).

فليحذر من يخفي شيئاً في باطنه مخالف لظاهره، فالحذر كل الحذر؛ لأن الله مخرجه ومبدية بكلماته المباركة التي علمها أولياءه، ومخرجه ومبدية للناس بموقفٍ مُعين يضطر فيه المنافق إلى كشف سريرته من حيث يشعر أو لا يشعر. فتأمل وارجع إلى القرآن الكريم لتعرف المواقف التي أُجبر بها المنافقون للبوح بسرّاتهم لساناً وعملاً.

* * *

ما للكبر والنفاق من أثر في قبول الرواية :

من دون شك أن للكبر والنفاق الأثر الكبير في نسبية قبول الرواية عن آل محمد عليهم السلام أو ردها وتكذيبها من شخص لشخص آخر، فكلما ازدادت نسبة هذين المرضين في نفس الإنسان كلما أزداد رداً على أولياء الله عليهم السلام وكلماتهم، والعكس بالعكس.

١- البقرة: ١٤ - ١٥.

٢- البقرة: ٢٠٤.

٣- التوبة: ٦٤.

أما لو خلى باطن المرء منهما تجده محباً لسماع ما يروى عنهم عليه السلام، وتجده لا يرد ما يروى عنهم حتى وإن لم يكن متأكداً من صدور الحديث عنهم عليه السلام، لا أنه لا يرده حتى يتأكد من المصادر.

ولعمري إن الذي طهر باطنه من هذين الداءين الخطيرين فهو أكيداً طاهر الباطن من غيرهما؛ لأن من أستطاع أن يخلص نفسه من أعظم داءين (ومنهما يتفرع الكثير من الداء) فهو قادر بعون الله وعجل أن يجد لغيرهما في نفسه الدواء، وإذا أصبح الإنسان طاهر الباطن فو الذي برء النسمة وقلق الحبة لا يحتاج الرجوع إلى المصادر ليعرف هل أن هذا الكلام الذي سمعه صادر حقاً عن آل محمد؛ لأنه سيعلم في باطنه هل هو منهم أم لا، فقد ورد عنهم عليه السلام بما معناه: (إن كلامنا تميل له قلوب شيعتنا).

واستقراء بسيط للمجتمع كفيلاً بأن يُلهمك أيها القارئ الفطن هذا المعنى

واعلم: بأن المتكبر يقبل من الرواية ما تشتهي نفسه والمنافق لا يقبلها، وإذا أخذها فلا يأخذ منها إلا ما يوافق جنبه ومصالحه، ويؤولها على ما تشتهي رغباته.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ^(١) يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ^(٢)﴾.

وقال تعالى: ﴿أَفْتُمُونَنَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ^(٣)﴾.

١- الراسخون في العلم هم آل محمد عليه السلام خاصة كما ورد عنهم في عشرات الروايات.

٢- آل عمران: ٧.

٣- البقرة: ٨٥.

وقد ورد عنه عليه السلام أن هذه من صفات المنافق .. وليعلم الفطن اللبيب أن من في قلبه كبراً أو نفاقاً فما له من المعرفة بآل محمد وأوليائهم وروايتهم نصيب، اللهم إلا القشور والظن.

﴿وَأَنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾^(١).

وأحب أن أقول لذوي الطهارة والعقول أن مما يندى له الجبين أن طلاب الحوزة وعلمائهم يقرون ويعترفون أن ما يتوصلون إليه من المعرفة بالأحكام الشرعية هي معرفة ظنية بنسبة (٩٥%)، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عدم ارتباطهم بالله سبحانه وعدم مسهم لكتابه الصامت والناطق، وأني لهم ذلك والله يقول: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٢).

فافهم جزاك الله خيراً.

* * *

كلمات من التوراة:

ورد في الكتاب المقدس (العهد القديم) سفر يوشع ص ٧٦ موضوع (طمأنينة باطلة):

(... لا تعتمد على مكاسب الظلم فهي لا تنفعك في يوم الهلاك لا تنقلب مع كل ربح^(٣) وفي كل طريق لا تسلك بل كن ثابتاً في اعتقادك وفي كلامك صادقاً كن حاضراً دائماً للاستماع ومتأنياً في الجواب جاوب إن كنت تعرف والأفضل فاسكت في الكلام كرامة أو مذلة ولسان الإنسان خطر عليه إياك أن تدعى تماماً ولسانك مخادعاً فكما يلحق العار بالسارق تلحق المذمة بصاحب اللسانين لا تكن مسيئاً في كبيرة أو صغيرة ولا تنقلب من صديق إلى عدو قبيح السمعة يرث الخزي والعار وكذلك صاحب اللسانين لا تستسلم لأهوائك فتمزق نفسك كثور هائج وتلتهم أوراقك وتلف ثمارك فتبقى أنت كالشجرة اليابسة).

وورد في نفس السفر ص ٨٢ موضوع (الكبرياء):

١- النجم: ٢٨.
٢- الواقعة: ٧٩.
٣- التقلب مع كل ربح من صفات المنافق

(لا تنقم على أحدٍ وفي كبرياء أبداً لا تتصرف الكبرياء مكروهة عند الرب والناس وكذلك ارتكاب الظلم تنتقل الممالك من أمةٍ إلى أمةٍ بسبب المظالم والكبرياء والطمع لماذا الكبرياء والإنسان تراب ورماد؟ بل حتى في الحياة يفسدُ جسدهُ المرض الطويل يهزأ بالطبيب، والملك اليوم، في غدٍ يموت والإنسان حين يموت يرث الحشرات والوحوش والدود مصدر الكبرياء الابتعاد عن الله ابتعاد القلب عن الخالق فالكبرياء مصدرها الخطيئة والتمسك بها يفيضُ رجساً الرب يهدم عروش الحكام ومكانهم يجلس الودعاء الرب يقتلع الأمم المتعجرفة ومكانها يغرس الأمم المتواضعة الرب يقلب بلدان الأمم ويهدمها إلى أساس الأرض ومن الناس من يُعِدُّهم ويبيدهم ومن الأرض يمحو ذكركم الكبرياء لم تُخلق للإنسان، ولا الغضب لبشر مولود من يستحق التكريم؟ البشر من يستحق التكريم؟ الذين يخافون الله ومن يستحق الاحتقار؟ البشر ومن يستحق الاحتقار؟ الذين يخالفون الوصايا (أي وصايا الحجة على الخلق ومنها وصايا موسى وعيسى (عليهما السلام) ومنها وصايا خير الخلق محمد وآله الطاهرين عليهم السلام فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ...) كما يكرم الإخوة كبيرهم يُكرم الرب الذين يخافونه مخافة الرب عزةً للغني والرفيع والفقير على السواء لا تجوز إهانة الفقير العاقل ولا يليق تكريم الرجل الخاطئ الحكام والقضاة والوجهاء يستحقون التكريم لكن لا أحد منهم أعظم ممن يخاف الرب العبد الحكيم يخدمه الأحرار ومن كان عاقلاً لا يتدمر لا تتعاس عن القيام بعملك واتضع أمام الصعاب من يعمل وهو في رخاء، خير ممن يتباهى ويعوزه الحبز تواضع يا بني ولا تعتد بنفسك وأعط لها من القيمة ما تستحق المسيء إلى نفسه من يبرره؟ والذي يهين نفسه من يحترمه؟.....).

* * *

أهل العراق .. ومرض الكبر والنفاق:

المجتمعات بصورةٍ عامة لا تخلو من صفات سلبية وأمراض كثيرة، بعضها مشترك بين جميع المجتمعات وبعضها غير مشترك، وبعضها مشترك ولكن بنحده متفشيًا أو قل موجوداً بكثرة في بعضها وبقلة في البعض الآخر، والملاحظ عند مراجعة تاريخ العراق نجد أن هناك مرضين لا يكادان ينفكان من هذا المجتمع في جيلٍ من الأجيال. ألا وهما (الكبر والنفاق).

وهذا لا يعني عدم وجود أمراض أخرى ولكن المعنى هو شيوع هذين المرضين وعدم انفكاكهما من أبناء هذا البلد. وسبحان الله والحمد لله على إي حالكم وكم لاقى أولياء الله عز وجل في هذا البلد ممن لوثوا فطرتهم ونفوسهم بهذين الداءين، ولناخذ على سبيل المثال لا الحصر ما لاقاه وعاناه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منهم، وخير شاهد على ذلك كلامه سلام الله عليه، وإليك أيها القارئ بعض كلامه عليه السلام.

قال أمير الهدى عليه السلام مخاطباً أهل العراق: (... وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها، وأحضكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبا^(١) ترجعون إلى مجالسكم، وتتخادعون عن مواعظكم ... أيها القوم الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام^(٢) يعصي الله وهم يطيعونه .. يا أهل الكوفة، منيت منكم بثلاث وأثنين ! صمّ ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار. لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء ! تربت أيديكم ! يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها ! كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر (...)^(٣).

وقال عليه السلام في إحدى خطبه الشريفة: (فقبحاً لكم وترحاً، حين صرتم غرضاً يُرمى، يُغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزَوْنَ ولا تَغزَوْنَ، ويُعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم هذه حمارة القيظ أمهلنا ينسلخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قُلتم هذه صبارة القُر أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فراراً من الحر والقُر فإذا كنتم من الحر والقُر تفرون فأنتم والله من السيف أفر ..)^(٤).

وليت شعري ما عُصي ابن أبي طالب وما خذله أهل العراق إلا من حسيكة الكبر والنفاق. ولو تأملنا تأملاً بسيطاً في تاريخنا وواقعنا المعاش حالياً لعلمنا وعن يقين (بتوفيق الله) أنه ما ظهر

١- قالوا: إن (سبا) هو أبو عرب اليمن، كان له عشرة أولاد، جعل منهم ستة يميناً وأربعة شمالاً ثم تفرق الأولاد شر التفرق.

٢- أي: معاوية (لعنه الله).

٣- نهج البلاغة: ص ١٤٢ - خطبة (٩٧)، تحقيق صبحي الصالح.

٤- نهج البلاغة: ص ٧٠ - خطبة (٢٧)، تحقيق صبحي الصالح.

مصلحٌ قط أو ولي يدعو إلى سبيل الرحمن في العراق إلا وأجابوه بالتكذيب والخذلان من أهل العراق إلا نادراً، وما كان ذلك إلا لما تحتويه سرائر ونفوس أبناء هذا البلد من كبر ونفاق وآثارهما. نسأل الله العليّ القدير الرحمن الرحيم صاحب اللطف الكبير أن يُطهر أبناء هذا البلد من كل مرض إنه نعم الطبيب ولا يُغير الله ما بقومٍ حتى يُغيروا ما بأنفسهم.

* * *

مَنْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ؟!!!

قتلته نفوس مُلئت كِبراً ونفاقاً. قتله يزيد (لعنه الله)؛ لأنه تكبر على الخضوع لأمر الله وأمر رسوله ﷺ باستخلاف وتمكين آل محمد الحكم والقيادة ... قتله شبت بن ربعي، المجتهد العالم التارك لعلمه ... قتله شريح القاضي، قاضي قضاة الكوفة وأشباههما؛ لأنهم أفتوا بقتله وهم يعلمون وعن يقين أنه هو الحق ولاحق غيره، وسبق وأن بايعوه من قبل ولكن لما اشتد الوطيس ظهرت حسيكة النفاق فخذلوه ويا ليتهم خذلوه ولم ينصروه، لا بل أفتوا ليزيد المخمور وجوزوا بقتل الإمام عليهما السلام، وما كان ذلك إلا خوفاً من يزيد (لعنه الله) وحسداً للحسين عليهما السلام؛ لأنه إن وليّ دفة الحكم فسوف تنهدم مرجعياتهم وعروشهم التي ضمنها لهم يزيد (شارب الخمر قاتل النفس المحترمة).

واعلم أيها القارئ: إن أشد الحسد الحسد بين العلماء، كما أخبر بذلك الرسول محمد سيد الأنبياء. فهم خافوا وطأة يزيد؛ لأنهم منافقون، وحسدوا الحسين؛ لأنهم منافقون، والناس تحسبهم عبداً صالحين مصلحين .. قتله أهل الكوفة، فبعد أن بعثوا إليه آلاف الرسائل خذلوه عند قيامه ونصروا شبت بن ربعي وشريح القاضي وعلماء الضلالة (غير العاملين الذين يصمتون دهرًا وينطقون كفرًا).

فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير؛ لأنهم كأسيادهم، والأعمى إن قاده أعمى وقع الاثنان في حفرة كما قال عيسى بن مريم (عليهما السلام)، والمنافق إن قاده منافق وقع الاثنان في التيهان، وحسبهم جهنم يصلونها وبئس الورد المورد.

* * *

هل للكبر والنفاق علاقة بقضية الإمام المهدي عليه السلام عند ظهوره؟

من دون تردد وتشكيك إن هناك علاقة وعلاقة قوية، ولكن هذه العلاقة ليست ودية بطبيعة الحال بل هي العلاقة التي لا تنفك مع نبي من الأنبياء أو ولي أو وصي، علاقة التكذيب والخدلان، ويكفي الرجوع إلى سنة الأولين لنلاحظ ما عاناه حملة الرسالة الإلهية من أعدائهم حملة الكبر والنفاق. وبما أن التاريخ يعيد نفسه وهذه سنة الله (ولن تجد لسنة الله تحويلاً) (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) ففي كل عصر موسى القائم بأمر الله، وفرعون المتكبر على أمر الله، والسامري وبلعم بن باعوراء علماء النفاق الحسدة. فيكفي من خلال القاعدة التي وضعها الله سبحانه في القرآن الكريم والتي نطقها قرآنه الناطق رسول الإنسانية البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: **(يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة) (١).**

قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (٢).

نستنتج بأن الإمام المهدي (مكن الله له في الأرض) إذا ظهر أمره وبانت رسله تكبر المتكبرون عن الانصياع لأمره عليه السلام، وظهرت سرائر أشباه السامري وبلعم وشبهت وشريح بالتكذيب والخدلان .. ولعل قائلاً يقول إن هذا استنتاج!!!! ولعلك مخطئ فيه.

فأقول: يكفي بحد ذاته هذا الاستنتاج؛ لأنه مأخوذ من قاعدة شهد بها القرآن الصامت ونطق بها القرآن الناطق، وليس استنتاجاً أو استنباطاً من قواعد يقول عنها القوم أنها عقلية وضعتها العقول الناقصة أو مفاهيم أصولية جعلها القوم خيراً من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولكني لا أكتفي بهذا الجواب فأنقل لك أيها القارئ بعض ما روي عن أهل البيت عليهم السلام فيما سيلاقيه الإمام عليه السلام من حملة الكبر والنفاق ولاسيما في بلد العراق.

عن الفضيل بن يسار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **(إن قائمنا إذا قام استقبل من جهل الناس أشد مما استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهال الجاهلية، فقلت: وكيف ذلك؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيوان والخشب المنحوتة،**

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢١٨.

٢- الانشقاق: ١٩.

وإن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأولون عليه كتاب الله ويحتج عليه به، ثم قال عليه السلام:
أما والله ليدخلن عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحر والقر^(١).

ولم أجد تعليقاً شافياً على هذه الرواية كما وجدته في كتاب العجل (للسيد أحمد الحسن)، وأنقله نصاً ولا أجرؤ أن أضيف عليه، وكيف لي أن أضيف على كلماتٍ هي رشفة فيض من إمامٍ معصوم علمها مبعوثاً مجهولاً في الأرض معروفاً في السماء طوبى له وحسن مآب، وسيعلم أهل الأرض جميعاً عما قريب ماذا يعني (أحمد الحسن). ولا أقول من هو أحمد الحسن؛ لأنه لا يتسنى لهم حتى من بعد الندامة معرفة حقيقته الطاهرة، ولكنهم سينزفون الحسرات ويعضوا أصابع الندامة لخذلانهم إياه، وإنَّ غداً لناظره قريب إن شاء الله تعالى.

ولعل التعليق طويل ولكني سأذكر منه طرفاً ومن أراد المزيد فليراجع كتاب (العجل) ^٢ التعليق:

(الذين يتأولون عليه القرآن ليس عامة الناس قطعاً، ولكن هؤلاء علماء غير عاملين يظنون أنهم بتحصيلهم للقواعد الاستقرائية والعقلية قد أحاطوا بالعلم كله، فهم لا يرون شيء من العلم عند من سواهم، وهذا التكبر يمنعهم من الانقياد للإمام المعصوم عليه السلام وقبول علومه الإلهية، فيردون عليه ويتأولون القرآن عليه ويتهمونه بالسحر والجنون، التهمتان اللتان لا تكادان تفارقان نبي من الأنبياء ﷺ، ومن هنا فإن علم الإمام عليه السلام وحده لا يعالج فتنة هؤلاء العلماء غير العاملين؛ لأنهم لا يسلمون له ولا يقبلون علومه كما هو واضح في الرواية، فيكون العلاج هو فضح هؤلاء العلماء غير العاملين على رؤوس الأشهاد وبين عامة الناس كما فعل رسول الله ﷺ وعيسى عليه السلام مع علماء اليهود.

وعندما يرى الناس عدالة الإمام عليه السلام سواء في الأمور المالية كقسمة أموال الصدقات بين الفقراء بالسوية وزهده عليه السلام في ملبسه ومأكله ومشربه أم باهتمامه بأحوال المجتمع الإسلامي وإخلاصه في العمل لله سبحانه، ثم يقارن الناس سيرة هذا الإمام العادل المهدي عليه السلام بسيرة أولئك العلماء غير العاملين، فهم على سبيل المثال يأتيهم مسكين أطفاله جياح ثيابهم ممزقة

١- غيبة النعماني: ص ٣٠٨.

٢- للسيد أحمد الحسن، أحد إصدارات أنصار الامام المهدي عليه السلام.

يطلب منهم دراهم ليسد رمقه فيقولون له إئتنا بمُعْرِفٍ لكِ نعطيك، بربكم هل سمعتم أو قرأتم أن محمداً عليه السلام أو علياً عليه السلام أو أحد الأئمة قال لفقير إئتني بمعرف لكِ أعطيك؟! ثم أين هم هؤلاء المعرفين؟ وكم هم؟ ومن أين لهذا المسكين بأحدهم؟! والحال أن طلبة الحوزة العلمية يحتاجون إلى سلسلة معرفين، بل إن المتقي من طلبة الحوزة لا يهتدي إلى سبيل ليُعرف نفسه عندهم؛ لأن معظم المعرفين متكبرين وفسقة ومستأثرين، ومن اتصل بهم بأموال الصدقات والضلالة لا تجتمع مع الهدى فلا يهتدي في الغالب إلى هؤلاء المعرفين إلا متملق أو خسيس طالب دنيا والطيور على أشكالها تقع، فبربك كيف أمسى الخسيس الوضيع يُعرف التقي الشريف، وكيف أمسى الذئب راعياً للغنم، وكيف أمسى ابن آوى المؤمن، وكيف أمسى الجاهل السفیه يُعرف العالم الفقيه؟! أالله أذن لكم بهذا أم على الله تفترون!؟

بربكم هذه هي سيرة السجاد عليه السلام الذي كان يحمل الطعام في ظلام الليل ويدسه تحت رأس الموالف والمخالف، أم هي سيرة محمد عليه السلام والأئمة عليهم السلام الذين كانوا يعطون حتى المؤلفة قلوبهم وكانوا يرحمون الفقراء واليتامى، وربما سقطت الدمعة من عيني علي عليه السلام قبل أن تسقط من عين أرملة أو يتيم، وربما خرجت الزفرة والحسرة من صدر محمد عليه السلام قبل صدر الفقير، كان محمد عليه السلام وعلي عليه السلام والأئمة يجوعون ليشبع الفقراء، ويعطون البعيد قبل القريب، لقد أنتشر الإسلام بأخلاق هؤلاء القادة العظام لا بالمصطلحات الفلسفية (.....) انتهى.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: **(إذا خرج القائم عليه السلام خرج من هذا الأمر من كان يُظن أنه من أهله ودخل فيه شبه عبدة الشمس والقمر)** ^(١).

وهذا يدل على خروج كثير من الشخصيات التي يظنها الناس أنها تنصر الإمام عليه السلام من نصرته، ودخول الكثير ممن لا خلاق لهم (كم تصفهم روايات أخرى) وممن لا يتصفون بالتدين في نصرته الإمام المهدي عليه السلام بعدما من الله عليهم بالهداية لمعرفة الإمام والتمهيد له ونصرته عند قيامه. والمتمعن في هذه الرواية وكل الروايات التي تشير إلى محاربتهم وخذلانهم للإمام عليه السلام. هؤلاء الذين يظنهم الناس أن فيهم خيراً وأنهم ينصرون الإمام عليه السلام إنما يفهم من خذلانهم إياه ما كانت

تحتويه سرائرهم من ظلمةٍ مخفيه بظاهرٍ براق، وبما أن هؤلاء قد خالفت سرائرهم علانيتهم فهم منافقون أكيداً وحاشا لله وهو العادل الرحمن الرحيم من أن يرزق قوماً سوء العاقبة إلا بما اجترحوا على أنفسهم وبما كانت تحويه سرائرهم من أمراضٍ كانت مخفية على قومٍ لا يعلمون، أو قل قوم يتجاهلون.

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إن أمير المؤمنين عليه السلام لما بويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر وخطب بخطبة ذكرها يقول فيها: ألا إن بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيه عليه السلام، والذي بعثه بالحق لتبليبن بلبلة، ولتغربلن غربلة، حتى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم، وليسبقن سباقون كانوا قصروا، وليقصرن سباقون كانوا سبقوا، والله ماكنتمُ وسمة، ولا كذبتُ كذبة، ولقد نبئتُ بهذا المقام وهذا اليوم) ^(١)، ^(٢).

ولا يخفى على اللبيب وعلى غير اللبيب ما عاناه الرسول عليه السلام في بداية ظهوره وإشعاع نوره من حملة الكبر والنفاق، وهنا شهادة من أمير المؤمنين وإمام العارفين عليه السلام بأن الهيئة تُعاد نفسها والبلية تعاد هي هي عند ظهوره (ممكن الله له في الأرض)، ولكن ليعلم كل من في نفسه كبر أو نفاق ولم يطهر نفسه منهما ولم يعد العدة لنصرة ولي الله قبل قيامه ولم يجتهد في معرفة أوليائه والممهدين له ليعلم أنه مقتول عند قيامه (ممكن الله له في الأرض).

في حديثٍ عن بشر النبال، قال: (قلت لأبي جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام: إنهم يقولون إن الإمام المهدي عليه السلام لو قام لاستقامت له الأمور عفواً، ولا يهريق محجمة دم. فقال: كلا والذي نفسي بيده، لو استقامت لأحد لاستقامت لرسول الله عليه السلام حين أدميت رباعيته وشج في وجهه، كلا والذي نفسي بيده، حتى نمسح نحن وأنتم العرق والعلق. ثم مسح جبهته) ^(٣).

وأخرج الشيخ في الغيبة بسنده عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (إذا قام القائم عليه السلام دخل الكوفة وأمر بهدم المساجد الأربعة حتى يبلغ أساسها ويصيرها عريشاً كعريش موسى، وتكون المساجد كلها جماء لا شرف لها كما كانت على عهد رسول الله عليه السلام،

١- وهو يوم ظهوره وسطوع نوره.

٢- الكافي: ج ١ ص ٣٦٩ ح ١.

٣- غيبة النعماني: ص ٢٩٤.

ويوسع الطريق الأعظم فيصير ستين ذراعاً، ويهدم كل مسجد على الطريق، ويسد كل كوة إلى الطريق، وكل جناح وكنيف وميزاب إلى الطريق، ويأمر الله الفلك في زمانه فيبطئ في دوره حتى يكون اليوم في أيامه كعشرة من أيامكم، والشهر كعشرة أشهر، والسنة كعشر سنين من سنيكم. ثم لا يلبث إلا قليلاً حتى يخرج عليه مارقة الموالي برميلة الدسكرة عشرة آلاف، شعارهم: يا عثمان يا عثمان، فيدعو رجلاً من الموالي فيقلده سيفه، فيخرج إليهم فيقتلهم حتى لا يبقى منهم أحد، ثم يتوجه إلى كابل شاه، وهي مدينة لم يفتحها أحد قط غيره فيفتحها، ثم يتوجه إلى الكوفة فينزلها وتكون داره، ويهجر سبعين قبيلة من قبائل العرب^(١).

سبعين قبيلة من قبائل العرب. ويشير سماحة السيد الصدر (قدس سره) إلى سببية كثرة القتل، فيقول: (... ولكننا إن لاحظنا المقتولين في هذه الحملة وجدناها موجه ضد أولئك الفاشلين في التمحيص الذي كان جزءاً رئيسياً من التخطيط العام لما قبل الظهور. فكل من تطرف نتيجة للتمحيص إلى طرف الباطل يكون الآن مقتولاً لا محالة، ولذا نسمع من هذه الأخبار أنه عليه السلام يقتل أعداء الله، ويقتل كل منافق مرتاب، وأنه لا يستتبع أحداً، وأنه يقتل قوماً يرفضون ثورته ويقولون له أرجع لا حاجه لنا ببني فاطمة، وكل هؤلاء هم الفاشلون في التمحيص السابق على الظهور، ولا تنفع هذا الفاشل توبته بين يدي المهدي عليه السلام ولا يستتبعه أي لا يطلب منه التوبة ولا يسمعها منه. وقد سبق أن سمعنا عن الإمام المهدي عليه السلام نفسه أنه قال فليعمل كل امرئ منكم بما يقربه من محبتنا، ويتجنب ما يدينه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة، ولا تنجيه من عقابنا ندم على حوبة. ولعل هذا المقصود من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا

..﴾^(٢).

* * *

١- الغيبة - الشيخ الطوسي: ص ٤٧٥.

٢- تاريخ ما بعد الظهور: ص ٣٩٨.

كيفية انتهاء هذين الداءين من المجتمع العراقي:

يتم ذلك انطلاقاً من مبدأ لو أن كل امرئٍ طهر نفسه لظهر المجتمع، وهذا شيء واضح؛ لأن المجتمع ما هو إلا عبارة عن مجموعة أفراد.

فعلى كل فرد منا أن يسعى من أجل تطهير نفسه ومعالجتها من هذين الداءين، كما أننا لا نتأخر إذا أصيبت أجسامنا المادية بمرض معين حتى لو كان بسيطاً فترانا لا نتأخر في مراجعة الطبيب وأخذ العلاج المناسب، فما لنا لا نبخل على أجسامنا ونبخل على أنفسنا، وإن حقائقنا في نفوسنا لا في أجسامنا، وصدق أمير المؤمنين في قوله:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته فأنت بالنفس لا بالجسم إنساناً

فكل إنسان يسعى أن يعالج جسمه ولا يسعى لمعالجة نفسه فليعلم أنه قد نزل نفسه إلى مرتبة البهائم وأضل سبيلاً ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(١)، وذلك هو الخسران المبين أن يحوّل ابن آدم نفسه إلى بهيمة وهو الذي خلقه الله إنساناً وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً .. وأود أن أنقل إليك أيها القارئ الحبيب بعض القواعد العامة أو قل الخطوط العريضة في كيفية التخلص من هذين الداءين:

١ - التفكر دائماً في سنن الأولين وما جناه الذين تلبسوا بالكبر والنفاق على أنفسهم من خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة، وقبلهم ننظر ما جناه المتواضعون والمخلصون من عز في الدنيا ونعيم في الآخرة.

٢ - مراجعة الكتب الأخلاقية والتمعن جيداً في ما ورد عن أهل بيت العصمة ومعدن الرحمة من ذم ونهي، ومعالجة لمرضي الكبر والنفاق، والتمعن جيداً فيما ورد عنهم عليهم السلام من أمرٍ ومدحٍ وثناءٍ ملكتي التواضع والإخلاص.

٣ - هنالك طرق عملية للتخلص من هكذا أمراض وردت في بعض الكتب الأخلاقية: كجامع السعادات للشيخ (محمد مهدي النراقي)، ولاسيما فيما يخص مرض الكبر فأنصح بقراءتها وممارسة تطبيقها.

٤ - محاسبة النفس في اليوم ولو مرة واحدة قبل النوم كما ورد عنهم عليهم السلام، ويستحسن التذكر فيما عملته، فإن كان فيه كبر أو نفاق فالاستغفار والتوبة، وإذا لم تجد فالحمد والثناء، وفي كلا الحالتين أنت لا تزداد إلا طهارة ورقياً. فإن لم تستطع ففي كل يومين، فإن لم تستطع فبالأسبوع مرة تجلس مع نفسك وتحاسبها على أعمالها خلال هذا الأسبوع.

٥ - تذكر الموت دائماً واعلم إنه لن ينفع كبر أو نفاق، وإنما الذي ينفع في الدنيا والآخرة هو تواضع، فالتواضع للآخرين وقبول نصائحهم والإخلاص لرب الأرباب هو العز بعينه، فمن تواضع لله رفعه كما ورد عنهم عليهم السلام. وحاول أن تُعلم نفسك أن تفعل أشياء ترضي الله تجعلها بينك وبينه سبحانه.

٦ - تجنب الأسباب المؤدية لهما، كالعجب بالنفس فهو من مقدمات الكبر، وتجنب الكذب؛ لأنه من مقدمات النفاق.

قال رسول الله ﷺ: **(الكذب يؤدي إلى النفاق)** ^(١).

وكذلك من الأسباب والأمراض التي تؤدي إلى النفاق (المراء والخصومة)، والمراء: هو المراوغة على الآخرين في الكلام بحيث يسعى صاحبه إلى إظهار أخطاء المقابل لإحراجه أمام الآخرين وليثبت أمام الآخرين مدى جدارته أو علمه.

قال رسول الله ﷺ: **(إياكم والمراء والخصومة فإنهما يميّتان قلوب الإخوان ويبتان في القلب النفاق)** ^(٢).

وهكذا فإن تجنّب الأسباب والابتعاد عنها تنجيك من شرها (لأنها بطبيعة حالها أمراض باطنية أيضاً)، وكذلك تنجيك من شر نتائجها (الكبر والنفاق).

١- عيون الحكم والمواعظ - الليثي الواسطي: ص ٢٩.

٢- الكافي: ج ٢ ص ٣٠٠ ح ١.

٧ -المداومة على ذكر الله سبحانه، فذكره سبحانه شفاء، وتلاوة آياته والمداومة على الدعاء بالأدعية الواردة عن الأئمة عليهم السلام، فلها الأثر البالغ في صقل النفوس وتطهيرها، هذا إذا كان الدعاء مصحوباً بشيء من الحضور القلبي.

هذا وأستغفر الله ربي لي ولإخوتي الأنصار ولك أيها القارئ الكريم، وأسأل الله سبحانه بجرمة وحق ومظلومية آل محمد عليهم السلام أن يجعلنا من عباده الطاهرين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الميامين وسلم تسليماً.

أقل الأنصار

أنصار حمزة المهدي